الحُجَّة
فِي القِرَاءَاتِ السَّبْع
للإمام ابن خالويه

الحُجَّة
فِي القِرَاءَاتِ السَّبْع

للإمام ابن خالويه

تحقيق وشرح
الدكتور عبد العال سالم مكرم
أستاذ النحو العربي - جامعة الكويت سابقًا

عالم الكتب
٣٨ شارع عبدالخالق ثروت - القاهرة ت: ٣٩٢٦٤٠١

بن خالويه ، الحسين بن احمد بن خالويه، 00-980 .
الحجة فى القراءات السبع / لإبن خالوية،تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم .
ـ القاهرة : عالم الكتب ، 2007 .
416 ص ، 24 سم
تدمك : 0ـ 564ـ232ـ977
1- القرآن ، القراءات السبع
أ- مكرم، عبد العال سالم (محقق وشارح)
ب- العنوان 228.1

نشر. توزيع . طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 3924626
فاكس : 002023939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 3926401 - 3959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ طبعة أولى لعالم الكتب
1428 هـ - 2007 م

❖ رقم الإيداع 23671 / 2006

❖ الترقيم الدولى I.S.B.N
0ـ 564ـ232- 977

❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكترونى : info@alamalkotob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الطبعة الأولى

ابن خالويه

ابن خالويه شخصية لم تظفر بالدراسة الواسعة بعد ؛ لأنه في مجال القراءات والنحو ، واللغة لا يقل عن هؤلاء الأعلام الذين ظفروا بمثل هذه الدراسة كأبي علي الفارسي ، وابن جني ، وغيرهما .

ولعلّي بهذه الترجمة الموجزة أنير الطّريق أمام الباحثين ليتّجهُوا إلى تراث هذا الرجل المطبوع والمخطوط ، ليقيموا في ضوئه دراسات وبحوثـاً ، تُظْهِرُ مكانة الرجل في عصره ، ومكانة تراثه بين تراثنا الخالد .

نسبه : سجّلت كتب الطبقات أن اسمه : الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان ؛ وكنيته : أبو عبد الله[1] .

نشأته ـ ذكر ياقوت : أنه نشأ في (همذان) ، ثم وفد إلى (بغداد) بعد ذلك ، ويشاركه في هذا الرأي السيوطي في البغية[2] وقد سجّل الرّواة أنه في سنة أربع عشرة وثلاثمائة دخل بغداد ليتلقى عن شيوخها ، ويأخذ عن أعلامها .

هذا ، ولم تتعرض كتب الرواة لسنة مولده ، وإن تعرّضت لسنة وفاته ، فقد أجمعت على أنه توفي بحلب سنة سبعين وثلاثمائة[3] .

---

(١) البغية ١ - ٥٢٩ ، معجم الأدباء ٩ - ٢٠٠

(٢) البغية ١ - ٥٢٩ .

(٣) البغية ١ - ٥٢٩ ، معجم الأدباء ٩ - ٢٠٠ ، غاية النهاية ١ - ٢٣٧ .

شيوخه ـ من شيوخه الذين كان لهم أثر كبير في تكوينه العلمي والثقافي

١ – ابن مجاهد :

تلقى ابن خالويه ،على ابن مجاهد علوم القرآن الكريم والقراءات وهو : أحمد بن موسى بن العباس التميمي ، كان يلقب في عصره بشيخ الصنعة ، ويكفيه فخراً أنه أوّل مَنْ سبّع السبعة ، وكان إليه المرجع في فن القراءات [١] .

٢ – ابن دُرَيْد :

وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد الأزْدي ، تلقّى عليه ابن خالوية النحو والأدب .

وكان ابن دريد شاعراً كثير الشِّعْر ، ومن شِعْره « المقصورة » المشهورة ، والقصيدة المشهورة التي جمع فيها بين المقصور والممدود [٢] . ولما مات هو وأبو هاشم الجُبّائي في يوم واحد ، ودفنا في مقبرة (الخيزران) ، قال الناس : مات عِلْمُ اللغة والكلام بموت ابن دُريد والجُبّائي .

وقد رثاه جحظة فقال :

فقدت بـابن دريد كـل منفعـــة ... لمـا غدا ثـالث الأحجـار والترب

قـد كنت أبـكي لفقد الجود آونـةً ... فصرت أبكـي لفقد الجود والأدب [٣]

٣ – ابن الأنباري :

هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشّار الأنباري النحوي ، كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظاً للغة .

وكان ابن الأنباري ـ كما يذكر الرّواة ـ مهتماً بالدراسة القرآنية ، فقد ذكروا أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن الكريم [٤] .

وقال عنه : محمد بن جعفر التّميمي : « أما أبو بكر بن الأنباري فما رأينا أحفظ منه ، ولا أغزر منه في علمه » [٥] .

---

(١) غاية النهاية ١ – ١٤٢ .
(٢) نزهة الألبا ـ ١٧٤ .
(٣) نزهة الألبا ـ ١٧٥
(٤) نزهة الألبا ـ ١٧٩
(٥) نزهة الألبا ـ ١٨١

ويحكي أن الأنباري عن نفسه فيقول : إنه كان يأخذ الرّطب ويشمه ويقول : « أمَا إنّك طيِّب ، ولكن أطيب منك ما وهب الله عز وجل لي من العلم »[1] .

٤ - أبو عُمَر الزّاهد :

هو أبو عمر : محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم اللغوي الزاهد كان من أكابر أهل اللغة ، وأحفظهم لها . أخذ عن أبي العباس ثعلب ، وكان يعرف بغلام ثعلب .

وقد قال عنه أبو القاسم عبد الواحد بن برهان الأسدي : « لم يتكلم في علم اللغة من الأولين والآخرين أحسن من كلام أبي عمر الزّاهد » . وقال فيه أبو العباس اليشكري يمدحه

أبــو عمر أوفى من العلـــــم مرتقى ... يزل مساميـه ، ويردي مطــاولـــه
فلــو أنني أقسمت مـــا كنت كــاذباً ... بــأن لم يــر الراءون حَبْـراً يعادلـه

إلى أن يقول :

إذا قلت شارفنــا أواخـــر علمـــه ... تفجّر حتى قلت هذي أوائلـــه[2]

٥ - أبو سعيد السيرافي :

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي ، كان من ألمع نجوم عصره ، فسعى إليه ابن خالويه ، وجلس في حلقته ، وتأثر به أثراً كبيراً ظهر في منهجه اللغوي والنحوي الذي سنتعرض له فيما بعد ، ذلك لأن أبا سعيد كان كما يقول المرحوم الأستاذ أحمد أمين : « زعيم المحافظين في عصره »[3] حيث يرى أن اللغة مرجعها الرواية والنقل ، لا القياس والعقل . وبهذا المنهج استطاع السيرافي أن يهزم (متّى) المنطقي في مناظرة مشهورة ، جعلت الوزير ابن الفرات - وكان مشاهداً لها - يقول في السيرافي : « عين الله عليك أيها الشيخ ، فقد ندّيت أكباداً ، وأقررت عيوناً ، وبيّضت وجوهاً ، وحُكْت طرازاً لا يبليه الزمان ، ولا يتطرّق إليه الحدثان »[4] .

وبعد ، فإذا كان التلميذ صنعة أستاذه ، فقد كان حظ ابن خالويه في تكوين شخصيته ، وتربية عقله ، وسموّ تفكيره ، كبيراً ، لأنه جلس في حلقات هؤلاء الأعلام الذين ملئوا

---

(١) نزهه الألبا - ١٨١

(٢) نزهة الألبا : ١٨٩ .

(٣) ظهر الإسلام : ٢ - ٩١ .

(٤) الامتاع والمؤانسة : ١ - ١٢٨ ، ١٢٩ .

الدنيا بأثارهم الفكرية ، وإنتاجهم الأدبي ، الذي خلّد ذكرهم ، وعطر في التاريخ سيرتهم

رحلاته ـ ذكر « إنباه الرواة » : أنه دخل اليمن ، ونزل ديارها ، وهي رواية اللّحجي اليمني في كتابه « الأترْجّة » [1] حين تعرّضه لابن الحائك اليمني وشعره ، قال ما نصه :

« ومن الشاهد على ذلك أن الحسين بن خالويه الإمام لما دخل اليمن ، ونزل ديارها ، وأقام بها ، شرح ديوان ابن الحائك ، وعنى به ، وذكر غريبه وإعرابه » .

قال صاحب الإنباه :

« ولم أعلم أن ابن خالويه دخل اليمن إلاّ من كتاب « الأترجة » هذا ، وهو كتاب غريب ، قليل الوجود اشتمل على ذكر شعر اليمن في الجاهلية والإسلام إلى قريب من زماننا هذا ، وما رأيت منه نسخة ، ولا مَن ذكره إلاّ نسخة واحدة جاءت في كتاب الوالد أحضرت بعد وفاته من أرض اليمن » [2]

على أية حال كانت إن صحّت هذه الرواية فمن المؤكد أن رحلته هذه إلى اليمن كانت قبل رحلته إلى حلب حيث سكنها ، وعاش في كنف سيف الدولة بها ، وهناك انتشر علمه [3] .

ويزيد « الإنباه » أنه تصدّر أيضاً (بميّا فارقين) و (حِمْص) للإفادة والتصنيف [4] وأخيراً استقر به المقام في (حلب) حيث وافاه الأجل المحتوم في سنة سبعين وثلاثمائة .

حياته الاجتماعية ـ فيما يبدو أن ابن خالويه كانت معيشته ضنكاً ، فقد كان يجري وراء المال ليسدّ العوز ، ويبعد الفاقة ، يدل على ذلك قوله لسيف الدولة حينما سأل جماعة في مجلسه ؛

هل تعرفون اسماً ممدوداً ، وجمعه مقصور ؟ فقالوا : لا . فقال ابن خالويه : أنا أعرف اسمين لا أقولهما إلاّ بألف درهم لئلا يؤخذا بلا شكر [5] .

ويدل على ذلك أيضاً قوله :

وكم قائلٍ مـــالي رأيتـك راجـــلاً فقلت لـــه من أجـــل أنك فـارس

---

(١) الأترج : بضمّ الهمزة ، وتشديد الجيم : فاكهة معروفة ، الواحدة : « أترجّة » .
(٢) الإنباه : ١ – ٣٢٦ .
(٣) البغية ١ – ٥٢٩ .
(٤) الإنباه : ١ – ٣٢٥
(٥) البغية ١ – ٥٣٠

وقوله :

الجود طبعي ، ولكـن ليس لي مـــال فكيف يبذل مَـن بالقرض يحتـال
فهـاك حظي فخذه اليـوم تـذكرة إلى اتساعي فـلي في الغيب آمـال [1]

معاصروه :

١ – أبو علي الفارسي :

في عصر ابن خالويه ظهر رجل له شهرته ، ومكانته في النحو واللغة والقراءات ، ذلك هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفارسي .

كان الفارسي من أكابر أئمة النحو ، وشغل الناس بآرائه في القياس والعلّة والمنطق والجدل حتى فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرد .

وقال فيه أبو طالب العَبْدي : ما كان بين سيبويه وأبي علي أفضل منه [2] .

هذه المنزلة التي وصل إليها أبو علي في النحو جعلت عضد الدولة يقول : أنا غلام أبي علي في النحو [3] .

وكانت المنافسة بين ابن خالويه وأبي علي الفارسي على أشدّها . فقد كتب أبو علي كتابه « الإغفال » ، وذكر فيه ما أغفله شيخه أبو إسحاق الزجاج في كتابه : « معاني القرآن » ، ولكن هذا النقد الذي وجهه أبو علي إلى أستاذه الزّجاج في (الإغفال) لم يُرْض ابن خالويه ، فتعقبه فيما كتب . وعقب على تعقيبه أبو على في كتاب سماه « نقض الهاذور » وبسط الكلام فيه كل البسط . وقد أورد البغدادي في « خزانته » طائفة من المسائل التي كانت موضع نقاش بين أبي علي وابن خالويه ، أذكر منها على سبيل المثال قول ابن خالويه : « إن الواو إذا كانت في أوائل القصائد نحو : وقاتم الأعماق ... فإنها تدل على رُبَّ فقط ، ولا تكون للعطف ، لأنه لم يتقدم ما يعطف عليه بالواو .

وقال الفارسي في « نقض الهاذور » : هذا شيء لم نعلم أحداً مِمَّن حكينا قوله ذهب إليه ، ولا قال به » [4] .

---

(١) البغية ١ – ٥٣٠

(٢) نزهة الألبا : ٢٠٨

(٣) معجم الأدباء ٧ – ٢٣٤

(٤) خزانة الأدب : ١ – ٣٩ .

وقال ابن الأنباري في (نزهة الألبا) إنه اجتمع هو وأبو علي الفارسي فجرى بينهما كلام ، فقال لأبي علي نتكلّم في كتاب سيبويه ، فقال له أبو عليّ : بل نتكلم في الفصيح .

ويحكى أنه قال لأبي علي : كم للسيف اسماً ؟ قال : اسم واحد ، فقال له ابن خالويه : بل أسماء كثيرة ، وأخذ يعدّدها نحو : الحُسَام ، والمخذم ، والقضيب ... فقال أبو علي : هذه كلها صفات [1] .

ولم تكن منافسة ابن خالويه لأبي علي إلاّ صَدىً لمنافسة أستاذه أبي سعيد السيرافي لأبي علي الفارسي ، فقد كان أبو علي ـ كما يقول أبو حيان التوحيدي ـ « متقداً بالغيظ على أبي سعيد وبالحسد له ، كيف تمّ له تفسير كتاب سيبويه من أوّله إلى آخره ، بغريبه ، وأمثاله ، وشواهده ، وأبياته ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، لأن هذا شيء ماتمّ للمبرد ، ولا للزجاج ، ولا لابن السراج ، ولا لابن درستويه مع سعة علمهم ، وفيض كلامهم » [2] .

ولمنزلة أبي سعيد السِّيرافي في نفس تلميذه ابن خالويه أرسل إلى سيف الدو لة لِيُعْلِمَهُ تطاول الفارسيّ على السِّيرافيّ ، وهو تطاول غير محمود ، لأن منزلة السِّيرافي وبخاصّة بعد هزيمة (متّى) المنطقي نسجت حوله ثوباً من القُدْسية والمهابة ، فلا يليق بأبي علي أو غيره ، أن ينال من هذه الشخصية التي أعلت لغة العرب ، وذلّلت مصاعب كتاب سيبويه .

ولم يسكت الفارسي حينما علم خبر هذه الرقعة ـ فأرسل إلى سيف الدولة رقعة ينفي فيها عن نفسه التهمة ، ويزيل اللَّبْس . ومن العبارات التي ضمنها رسالة الفارسي قوله : « من ذلك بعض ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل ـ يعني بذلك ابن خالويه فيما يقوله ـ هو قوله : لو يبقى عُمَرُ نوح ما صلح أن يقرأ على السِّيرافي مع علمه بأن (ابن بهراذ) السِّيرافي يقرأ عليه الصبيان ومعلموهم ، أفلا أصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان ؟ هذا ، مما لا خفاء فيه ، كيف ، وقد خلط فيما حكاه عنّي ؟ . وأني قلت : إنّ السيرافي قد قرأ عليَّ . ولم أقل هذا ، إنما قلت : تعلّم مني ، أو أخذ منّي هو أو غيره ممّن ينظر اليوم في شيء من هذا العلم . وليس قول القائل : تعلّم منّي مثل قرأ عليَّ ، لأنه يقرأ عليه من لا يتعلّم منه ، وقد يتعلّم منه من لا يقرأ عليه . وتعلّم ابن بهراذ السيرافي منّي في أيام محمد بن السَّري وبَعْدَهُ

---

(١) نزهة الألبا : ٢٠٨

(٢) الإمتاع والمؤانسة ١٣١ .

لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه كعليّ بن الورّاق ، ومحمد بن أحمد بن يونس ، ومن كان يطلب هذا الشأن من بني الأزرق الكتّاب وغيرهم . وكذلك كثير من الفُرْس الذين كانوا يرونه يغشاني في (صف شوينز) كعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ، لأنه كان جاري بَيْتَ بَيْتَ قبل أن يموت الحسن بن جعفر أخوه ، فينتقل إلى داره التي ورثها عنه في درْب الزعفراني »[1] .

وإنّي حرصت على تسجيل هذا الجزء من هذه الرسالة ، ليكون مثالاً واضحاً يدلّ على مدى التّنافس الكبير الذي كان بين الرجلين ، ليظفر كلّ منهما بقلب سيف الدولة من ناحية ، وازدهار هذا العصر في مجالات اللغة والنحو من ناحية أخرى .

٢ – المتنبي :

لم يكن أبو الطّيّب أحمد بن الحسين الجعفي شاعراً يملأ الدنيا بأشعاره ، وتسمع كلماته من به صمم فحسب ، بل كان لغوياً نحوياً متضلّعاً ، يدلّ على ذلك أن أبا الطيب « اجتمع هو وأبو علي الفارسيّ ، فقال له أبو علي : كم جاء من الجمع على وزن فِعْلي ؟ (بكسر الفاء) فقال المتنبي : حِجْلى وظِرْبى ، جمع : حِجل وظربان . قال أبو علي : فسهرت تلك الليلة ألتمس لهما ثالثاً فلم أجد . وقال في حقه : ما رأيت رجلاً في معناه مثله »[2] .

اتصل المتنبي بسيف الدولة يمدحه ، ويكثر من المدح فيه ، وكانت بينه وبين ابن خالويه في مجلس سيف الدولة مناقشات توضح مدى التنافس بين الرجلين .

يحكى أنه لما أنشد سيف الدولة بن حمدان قوله في مطلع بعض قصائده :

• وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه . •

كان هناك ابن خالويه ، فقال له : يا أبا الطيّب : إنما يقال : شجاه ـ توهّمه فعلاً ماضياً ـ فقال أبو الطيب : اسكت فما وصل الأمر إليك[3] .

وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا أن أخي جاهل لما رضي أن يدعي بالمتنبي ، لأن معنى المتنبي . كاذب ، ومن رضي أن يدعي بالكذب فهو جاهل فقال : لست أرضى أن أدعي بذلك ، وإنما يدعوني به من يريد الغض مني ، ولست أقدر على المنع[4] .

---

(١) المسائل الحلبية : لأبي علي الفارسي ، ورقة ١١٤ ، مخطوط رقم ٢٦٦ نحو . تيمور .

(٢) نزهة الألبا : ٢٠١ .

(٣) نزهة الألبا ٢٠١ .

(٤) نزهة الألبا : ٢٠٠ .

وذكر الرئيس أبو الحسن محمد بن علي بن نصر الكاتب في كتاب . « المفاوضة » : حدثني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر الببغاء قال وأذكر ليلة ، وقد استدعي سيف الدولة بدْرة ، فشقها بسكين الدواة ، فمدّ ابن خالويه جانب طيلسانه ، وكان صوفاً أزرق فحثا فيه سيف الدولة شيئاً صالحاً ، ومددت ذيل درّاعتي وكانت ديباجاً ، فحثا إليّ فيها ، وأبو الطيِّب حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه أن يفعل مثل فعلنا ، أو يطلب شيئاً منها ، فما فعل ، فغاظه ذلك ، فنثرها كلها ، فلما رأى المتنبي أنها قد فاتته زاحم الغلمان يلتقط معهم ، فغمزهم عليه سيف الدولة ، فداسوه وركبوه ، وصارت عمامته وطرطوره في عنقه ، واستحيا ، ومضت له ليلة عظيمة ، وانصرف .

وخاطب أبو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك ، فقال : ما يتعاظم تلك العظمة ، ويتضع إلى مثل هذه المتزلة إلاَّ لحماقته [1] .

٣ – ابن جنّي :

أبو الفتح عثمان بن جنّى النحوي من معاصري ابن خالويه ، فقد توفي ابن جنى سنة ٣٩٢ هـ . ، على حين توفي ابن خالويه ٣٧٠ هـ . [2] . وقد تتلمذ ابن جنى على أبي علي الفارسيّ ، وصحبه أربعين سنة . وكان سبب صحبته إياه أن أبا علي الفارسي سافر إلى (الموصل) ، فدخل الجامع ، فوجد أبا الفتح عثمان بن جنى يقرأ النحو ، وهو شاب ، وكان بين يديه متعلّم ، وهو يكلّمه في قلب الواو ألفاً ، نحو : قام ، وقال ، فاعترض عليه أبو علي فوجده مقصّراً ، فقال له أبو علي : زبّبت قبل أن تحصرم ، ثم قام أبو علي ولم يعرفه ابن جني ، وسأل عنه ، فقيل له : هو أبو علي الفارسي النحوي فأخذ في طلبه ، وصاحَبَهُ إلى أن مات أبـو علي وخلفه ابن جنّى ودرس النحو ببغداد بعده ، وأخذ عنه [3] .

والذي يعنيني من هذه المعاصرة أن ابن جنّي تتلمذ على أبي علي الفارسي ، وأن ابن خالويه تتلمذ على أبي سعيد السيرافي . والشيخان رأسان في عصرهما ، عاشا في مجال النحو واللغة يبدعان ما شاء لهما الإبداع ، ولكنهما افترقا في المنهج والطريقة . وقد أثرت هذه التفرقة في نفس تلميذيهما ، فسارا على الدرب ، وسلكا نفس المنهج . فالفارسي وتلميذه

---

(١) إنباه الرواة : ١ – ٣٢٧ .
(٢) نزهة الألبا : ٢٢٢
(٣) نزهة الألبا : ٢٢١

يكثران من المنطق والعلة . وأبو سعيد وتلميذه لا يحفلان بأهمية المنطق ، ولا يعيران التعليل النحوي هذا الاهتمام البالغ ، وإنما يحفلان بالرواية ، والأثر ، والسماع ، وما نقل عن العرب يدلّ على ذلك قول بعض الأدباء في رؤوس النحو الثلاثة الفارسي ، والرمّاني ، والسيرافي : « كنّا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين ، فنهم من لا نفهم من كلامه شيئاً ، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض ، ومنهم من نفهم جميع كلامه ، فأمّا من لا نفهم من كلامه شيئاً ، فأبو الحسن الرمّاني ، وأمّا من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسيّ ، وأمّا من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السّيرافيّ »[1] .

هذا ، وقد كان بلاط سيف الدولة يشهد في كل المجالس العلميّة والأدبيّة التي تعقد فيه مناظراتٍ عديدةً بين الفارسيّ وابن خالويه من ناحية ، وبين ابن خالويه والمتنبي من ناحية أخرى ... وكان ابن جنى يشهد هذه المجالس . وتوثقت صلته بالمتنبي حتى قال فيه المتنبي : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » ، وهذا التقدير الأدبي من جانب المتنبي جعل ابن جنى يشرح ديوانه شرحاً كما يقول المرحوم الأستاذ أحمد أمين : « استفاد منه كلُّ مَنْ شرح الديوان بعده لاتصاله بالمتنبي ، ومعرفته بظروف شعره التي كثيراً ما تحدّد المعنى ، وتمنع التأويلات »[2] .

وكما توثقت الصلة بين ابن جنّى العالم النحوي وبين المتنبي الشاعر ، كذلك توثقت الصلة بين ابن خالويه العالم النحوي وبين الشاعر أبي فراس الحمداني الذي كان الراوية الوحيد لشعره وديوانه . وقد صوّر هذه المنافسة المرحوم أحمد أمين حيث قال ما نصه :

« فكان في القصر ـ يقصد قصر سيف الدولة ـ حزبان ، حزب للمتنبي منه ابن جنّى النحوي ، وحزب عليه ، منه ابن خالويه اللغوي وأبو فراس الشاعر »[3] .

مكانته اللغوية والنحوية : ابن خالويه كانت له قدم راسخة في الدراسات اللغوية ، فقد تتلمذ على ابن دريد ـ كما ذكرنا ـ وابن دريد له في اللغة كتاب « الجمهرة » وهو كتاب ثمين عرف قيمته أولو العلم ، ورجالات الأدب منذ تأليفه ، فأبو علي القالي كان يملك نسخة من « الجمهرة » بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى ، فاشتدت

---

(١) نزهة الألبا : ٢١١ .

(٢) ظهر الإسلام : ١ - ١٨٦ .

(٣) ظهر الإسلام ١ - ١٨٦ .

به الحاجة فباعها بأربعين مثقالاً وكتب عليها هذه الأبيات

أنست بهـا عشرين عامـاً وبعْتهـا ... وقد طـال وَجدي بعدهـا وحنيني
ومـا كـان ظني أنّني سأبيعهـا ... ولـو خلّـدتني في السجون ديوني
ولكـن لعجـز وافتقـار وصبيـة ... صغـار عليهـم تُسْتَهَلّ شؤوني
فقلت : ولم أملـك سوى عـبرتي ... مقـالـة مكـويّ الفـؤاد حزيـن
وقد تخرج الحـاجـات يا أم مالك ... كـرائم رب بهـنّ ضنـين

قال : فأرسلها الذي اشتراها ، وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى [1] .

وابن خالويه كان راوياً لهذه الجمهرة . وقد كتب عليها حواشي من استدراكه على مواضع منها ، ونبه على بعض أوهام وتصحيفات [2] .

ولمكانة ابن خالويه اللغوية ردَّ على ابن دريد ، ونَقَدَهُ في مسائل عديدة من جمهرته .

فمثلاً : يقول السيوطي : ليس في الكلام كلمة صدّرت بثلاث واوات إلاّ أوّل .

قال في الجمهرة : هو فوعل ليس له فعل ، والأصل : وولّ قلبت الواو الأولى همزة ، وادغمت إحدى الواوين في الأخرى ، فقالوا : أوّل .

وقال ابن خالويه : الصّواب : أن أوّل : أفعل بدليل صحبة (مِنْ) إيّاه ، تقول : « أول من كذا » [3] .

ومما يدل على اتساعه في حفظ اللغة ردّه على ابن دريد حينما قال في جمهرته : لم يجيء في الكلام فَعَل فَعِلاً إلاّ حرفان : حنَق حَنِقاً ، وضرَط ضرِطاً .

قال ابن خالويه : وحكى الفرّاء : حَلَف حلِفاً ، وحبقَ حَبِقاً ، وسَرق سرِقاً ، ورضعَ رَضِعاً . [4]

ولابن خالويه حسٌّ مرهف في إدراك أسرار اللغة وتذوّقه لها :

قال السيوطي : لم يأت اسم انفعول من أفعل على فاعل إلاّ في حرف واحد ، وهو قول العرب : أسمت الماشية في المرعى ، فهي سائمة ، ولم يقولوا مُسامةً ، قال تعالى :

---

(١) المزهر ١ – ٩٥ .
(٢) المزهر : ١ – ٩٥ .
(٣) المزهر : ١ – ٦٠ .
(٤) المزهر : ٢ – ٧٥ .

« فيه تُسِيمون »[1] : من أسام يُسيم .

قال ابن خالويه : أحسب المراد : أسمتها أنا ، فسامت هي ، فهي سائمة ، كما تقول : أدخلته الدار فدخل ، فهو داخل[2] .

وابن خالويه محيط بمعظم كلام العرب ، حافظ له . قال في كتاب « ليس » : قلت لسيف الدولة بن حمدان : قد استخرجت فضيلة لـ (حمدان) جدّ سيدنا لم أسبق إليها ، وذلك أن النحويين زعموا أنه ليس في الكلام مثل: رحيم وراحم ، ورحمان ، إلاّ نديم ، ونادم ، وندمان . وسليم ، وسالم ، وسلمان ، فقلت : فكذلك : حميد ، وحامد ، وحمدان[3] .

ويؤمن بلغة الأعراب ، يستشهد بها في مواطن الاستشهاد قال في شرح « الدريدية » :

كل اسم على فعيل ثانية حر ف حلق يجوز فيه اتباع الفاء العين نحو بِعير ، شِعير . رِغيف ، رِحيم . أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي أن شيخاً من الأعراب سأل الناس ، فقال : ارحموا شيخاً ضِعيفاً[4] .

والأمثلة عديدة على مكانته اللغوية اكتفى بما ذكرت منها حبًّا في الإيجاز .

والسؤال الذي يقال هنا إنّ لابن خالويه آثاراً لغوية تشهد بفضله ، وتشير إلى قدْره ، وهي آثار لا تنكر ، لأنها واقع ملموس ، فهل كان ابن خالويه في النحو كاللغة .. ؟ في رأيي أن ابن الأنباري ظلم ابن خالويه حينما قال عنه في مجال النحو : « ولم يكن في النحو بذاك »[5] لأن ابن خالويه له آراء في النحو لا تقل عن آرائه في اللغة كما يبدو لنا ذلك عند دراستنا لكتاب الحجّة .

ولعل السبب في عدم اشتهار ابن خالويه بالنحو هو أنه كان يؤمن بأن اللغة تؤخذ سماعاً ، لا قياساً ، والتأليف النحوي ـ كما جرت به عادة النحاة ـ يدور حول العلّة والمعلول ، والقياس والمنطق ، ومن أجل ذلك لم يؤلف كتباً عديدة في النحو ، أو في أصوله كما فعل الفارسي وتلميذه ابن جنى ، ولكنه مع هذا كان مُعلِّماً نحوياً ولغوياً ، وقد سجّل له الرواة هذه الحقيقة فقالوا : « كان إماماً أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام العلم والأدب ، وكان إليه الرحلة من الآفاق ، وكان آل حمدان يكرمونه »[6] .

---

(١) النحل : ١٠ .
(٢) المزهر : ٢ – ٨٨ .
(٣) المزهر : ٢ – ٩٠ .
(٤) المزهر : ٢ – ٩٠ .
(٥) نزهة الألبا : ٢٠٨
(٦) إنباه الرواة : ١ – ٣٢٦ .

عقيدته يذكر سالم الكرنوكي وهو مستشرق ـ حقق كتاب « إعراب ثلاثين سورة » أن ابن أبي طيّ . قال عنه « كان إماميّاً عالماً بالمذهب » على حين يرى الذهبي في تاريخه : أنه كان صاحب سُنّة ، وإبن حجر يؤيد تشيعه ويقول : « كان صاحب سنّة في الظاهر فقط ليتقرّب إلى سيف الدولة الحمداني »[1] .

وفي رأي سالم الكرنوكي أنه إماميّ لأنه ألف كتاب « الإمامة » . وفي هذا الكتاب تظهر روح تشيّعه واضحةً جليّةً ؛ ذلك لأنه ذكر في كتابه أشياء لا يقولها أهل السنة .

وفي رأيي أن ابن خالويه لو كان إمامياً لاشتهر أمره ، وفضحه أعداؤه ومنافسوه في وقت كانت تُعَدّ فيه الهفوات .

ولو كان المتنبي يحس بأنه إماميّ لهجاه ، وأظهر عواره لسيف الدولة السني ، ليبعده من بلاطه ، ويطرده من بلاده . ولو كان ابن خالويه إمامياً لما سكت عنه أبو علي الفارسي في رسائله التي كان يبعث بها إلى سيف الدولة مدافعاً عن التهم التي كان يوجهها إليه ابن خالويه.

ولو كان ابن خالويه إمامياً لما تعبّد على المذهب الشافعي ، لأن الشافعي سنّي ، وقد ذكره السبكي في طبقات الشافعية .

وليس تأليفه لكتاب « الإمامية » يجعله إماميّاً ، فالرجل مولع بالثقافة الواسعة ، وبالتأليف في مجالاتها المختلفة . ومن ثم ألّف كتابه ليدل على أنه ملمٌ بأحداث عصره وبتاريخ مجتمعه .

إنتاجه العلمي : السيوطي في « البغية » ينصّ على أنّ من تصانيفه : الجمَلُ في النحو ـ الاشتقاق ـ اطرغش ـ القراءات ـ إعراب ثلاثين سورة ـ شرح الدريدية ـ المقصور والممدود ـ الألفات ـ المذكر والمؤنث ـ كتاب ليس ـ كتاب اشتقاق خالويه ـ البديع في القراءات[2] .

ويزيد كتاب الإنباه على البغية ما يأتي :

كتاب الأسد ـ تقفية ما اختلف لفظه واتفق معناه لليزيدي ـ المبتدأ في النحو ـ تذكرته ، وهو : مجموع ملكته بخطه[3] .

ومعجم الأدباء يزيد على ما ذكر :

---

(١) انظر مقدمة كتاب : « إعراب ثلاثين سورة » .

(٢) البغية ١ - ٥٣٠ .

(٣) الإنباه . ١ - ٣٢٥ .

كتاب الآل ذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسماً . وذكر فيه الأئمة الإثني عشر ومواليدهم ووفياتهم . وغير ذلك[1] .

« وغاية النهاية » يزيد ما يأتي :

حواشي البديع في القراءات ـ كتاب مجدول في القراءات ألفه لعضد الدولة[2] .

ومن قراءاتي في مجال دراسة ابن خالويه أزيد على هؤلاء الرواة ما يأتي :

١ – كتاب الريح : وهو مخطوط . يتكون من ثلاث ورقات . مخطوط رقم ٥٢٥٢ هـ ـ دار الكتب المصرية .

أوله : قال الشيخ أبو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمّد وآله . وصحبه أجمعين . وبعد ، فإن الريح اسم مؤنثة .. الخ .

٢ – كتاب أسماء الله الحسنى :

فقد نص في كتابه : « إعراب ثلاثين سورة » : أن له كتاباً في أسماء الله الحسنى ، وقد قال في ذلك ما نصه :

« وقد صنفتها في كتاب مفرد . واشتقاق كل اسم منها ومعناه »[3] .

٣ – رسالة في قوله : ربنا لك الحمد ملء السموات إلى آخره ، وقد أشار إلى هذه الرسالة الشيخ محي الدين يحي النووي في كتابه : (تصحيح التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي) للشيخ أبي إسحاق الشيرازي .

وقال ما نصه قوله : ربنا لك الحمد ملء السموات ، يجوز « ملء » بالنصب والرفع ، والنصب أشهر . وممّن حكاها ابن خالويه ، وصنف في المسألة[4] .

٤ – شرح ديوان ابن الحائك حيث عني بغريبه وإعرابه[5] .

٥ – كتاب مختصر في شواذ القراءات من كتاب « البديع » عني بنشره المستشرق ج . برجستراسر وطبع بالمطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤ .

٦ – كتاب الشجر : وينفي نسبة الكتاب إليه المستشرق ج . برجستراسر فيقول : « ليس مصنّفه ، بل الحقيقة مصنف اللغوي أبي زيد صاحب كتاب : « النوادر في اللغة »[6]

---

(١) معجم الأدباء ٩ – ٢٠٤

(٢) غاية النهاية : ١ – ٢٣٧ .

(٣) إعراب ثلاثين سورة ١٤ .

(٤) مقدمة التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي .

(٥) انظر ص ٧ من المقدمة

(٦) مقدمة مختصر شواذ القراءات ٦ .

٧ - العشرات في اللغات أي اللغات التي لها عشر معان وهو مخطوط بمكتبة مجيد موقر بطهران . ونسخ سنة ٧٦٠ هـ[١] .

٨ - كتاب الهاذور الذي ردَّ فيه على أبي علي الفارسي حينما ألف كتاب « الإغفال » ليردَّ على شيخه أبي إسحاق الزجاج[٢] .

٩ - شرح ديوان أبي فراس الحمداني :

وقد جاء في مقدمة شرحه للديوان ما نصه :

قال أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه : مَنْ حلَّ مِنَ الشرف السامي ، والفضل والكرم الذائع ، والأدب البارع ، والشجاعة المشهورة ، والسماحة المأثورة ، أبو فراس : الحارث بن سعيد بن حمدون بن الحارث العدوي . كان سيف الدولة ... مثقفه ومتبنيه ... وما زال يعاملني بالمحبّة ... يلقي إليَّ شعره دون الناس ، ويحظر على نشره حتى سبقتني وإياه الركبان ، فَحَمَلْتُ منه ما ألقاه إليّ وشرحته مما أرجو أن يقرنه الله عز وجل بالصواب والرشاد[٣] .

وليس لابن خالويه عمل في هذا الديوان غير روايته ، وبيان المناسبات المختلفة للقصائد التي احتواها الديوان .

هذا ، وقد قام الدكتور سامي الدهان بنشر الديوان وتحقيقه في جزأين ١٩٤٤ م وطبع في بيروت .

١٠ - كتاب شرح فصيح ثعلب ، نقل عنه السيوطي في المزهر[٤] .

وبعد ،

فإن هذا التراث الضخم الذي تركه ابن خالويه من ورائه يشهد بقدرته الفائقة ، وثقافته الواسعة ، ومكانته السامية في عصره ، وفيما بعد عصره إلى يومنا هذا . ولم يبق من هذا التراث غير القليل الذي دلّنا على نبوغ هذا الرجل ، ومكانته في حقل النحو واللغة .

---

(١) انظر : مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ٢ : ١٣

(٢) خزانة الأدب : ١ - ٣٥٢ .

(٣) مقدمة شرح ديوان أبي فراس الحمداني .

(٤) المزهر : ١ - ٢١٣ ، وغيرها .

كتاب الحجَّة

توثيقه ـ منهجه

توثيقه :

كان من مراجعي في إعداد رسالة الدكتوراه : « القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية » كتاب الحجة لابن خالويه . قرأته ـ فراعني فيه أسلوبه الجذل ، وعبارته المختارة ، وعرضه للقراءات في ضوء النحو واللغة عرضاً جذّاباً ـ لا يبعد القارئ عنه ـ ولا يجعل الملل يتسرّب إلى نفسه ، يعطيك النتيجة في صراحة ووضوح من غير أن يجهد نفسك ـ أو يتعب عقلك ـ من غير استطراد ينسيك موضوع الحديث كما فعل الفارسي في حجّته .

لهذا ـ صمّم عزمي على أن أحقق هذا الكتاب بعد انتهائي من رسالة الدكتوراه ، لما فيه من النفع الكبير ـ والخير العميم .

وهأنذا أحقّق رغبتي في تحقيقه ، وأفي بالدين الذي حملته على عاتقي منذ أن عشت في هذا الكتاب أثناء دراستي للد كتوراه . واقتضى منهج التحقيق أن أوثق هذا الكتاب ـ لأتأكدَ من نسبته إلى ابن خالويه ـ لأن هناك سحباً من الشك في نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب إلى ابن خالويه . ودليلهم أنه لم يرد في كتب الطبقات أنَّ لابن خالويه كتاباً يسمّى كتاب « الحجّة » ـ وإن ذكرت أن له كتباً في القراءات حملت أسماء مختلفة ، ولم يحمل واحد منها اسم الحجّة . وبعد جهد استغرق ما يقرب من عامين في دراسة هذا الكتاب ودراسة مؤلفات ابن خالويه استطعت أن أصدر حكمي في ثقة لا تعرف التردّد ، وبإيمان لا يعرف الشك أن هذا الكتاب نسبته إلى ابن خالويه صحيحة ، وإليك الدليل :

١ – تلمذة ابن خالويه لأستاذه ابن مجاهد فرضت عليه أن يحيا في الدراسة القرآنية ، ويتمكن منها ـ ويلمّ بالقراءات ـ ويدافع عنها ، وابن مجاهد ـ كما قدّمت سابقاً ـ أول من سبّع السبعة وكان إليه المرجع في فن القراءات كما يقول ابن الجزري[1]، وابن مجاهد حينما سبّع السبعة ، وألف كتابه القراءات السبع شرحه أبو علي الفارسي وسمّي بالحجة . ثم اختصرها أبو محمد مكّي بن أبي طالب المصري المتوفى ٤٣٧ هـ . ثم اختصر هذا الشرح أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأندلسي المتوفى ٤٥٥ هـ .[2] .

---

(١) غاية النهاية ١ – ١٤٢ .

(٢) كشف الظنون م٢ نهر ١٤٤٨ .

فإذا كان أبو علي الفارسي يشرح القراءات السبع لابن مجاهد فليس بدعاً أن يتولى هذا الشرح أيضاً تلميذه ابن خالويه لأنه ابن عصره . ألف في معظم فروع المعرفة السائدة فيه . وقدّم لنا إنتاجاً ضخماً تحدثت عنه فيما سبق .

ومن أهمّ الفروع التي كانت تشغل أذهان العلماء إذ ذاك علم القراءات . والاحتجاج بها في مجالي اللغة والنحو .

وقد أسهم في هذا الاحتجاج بالتأليف في عصر ابن خالويه محمد بن الحسن الأنصاري المتوفي ٣٥١ هـ . حيث ألف كتاب السبعة بعللها الكبير [١] .

وأبو محمد بن الحسن بن مقسم العطار المتوفي ٣٦٢ هـ . حيث ألف كتاب احتجاج القراءات ، وكتاب السبعة بعللها الكبير ، وكتاب السبعة الأوسط ، وكتاب السبعة الأصغر [٢] . هذا فضلاً عن تأليف أبي علي للحجة كما قدمت ، وابن جني للمحتسب في القراءات الشاذة .

ومن أجل ذلك ألف ابن خالويه كتابه الحجة في القراءات السبع ليدلي بدلوه بين الدّلاء ، ولِيُسْهِم في هذا العلم الذي شغل أذهان العلماء في عصره .

وكل الذين ترجموا لابن خالويه أكدوا أنَّ له كتباً في القراءات : كتاب البديع ـ كتاب مختصر شواذ القراءات ـ كتاب مجدول في القراءات ألفه لعضد الدولة ، كما نصّ على ذلك ابن الأثير في « غاية النهاية » [٣] :

وقد أشار ابن خالويه إلى أن له كتاباً في القراءات فيقول في كتابه « إعراب ثلاثين سورة » عند تعرضه للقراءات في قوله تعالى : « أنعمت عليهم » [٤] :

« أجمع القُرّاء على كسر الهاء في التثنية إذا قلت :عليهما.قال الله عز وجل : « يخافون أنعم الله عَلَيْهِما [٥] » إلاّ يعقوب الحضرمي ، فإنه ضمّ الهاء في التثنية ، كما ضمّها في الجمع وقد ذكرت علّة ذلك في كتاب القراءات » [٦] .

وفي كتابه الحجّة تجد هنا التعليل الذي أشار إليه [٧] . والسؤال الذي يقال هنا : لمَ لمْ يشتهر

---

(١) الفهرست : ٤٣٣ .
(٢) الفهرست : ٣٣ .
(٣) غاية النهاية ١ - ٢٣٧
(٤) الفاتحة : ٧ .
(٥) المائدة : ٢٣ .
(٦) إعراب ثلاثين سورة : ٣٢ .
(٧) انظر : الحجة : ٦٣ .